المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651

العدد الرابع والعشرون نيسان 2024

أثر القرآن الكريم في العناية بطلاب العلم

إعداد

مروان عطية جبر عبد الجبوري

البريد الإلكتروني Marwanjebur48@gmail.com

جامعة الجنان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التفسير وعلوم القرآن

المشرف

أ .د خالد مصطفى مرعب

البريد الإلكتروني Khaled.merheb@jinan.edu.lb

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد:

فلكل منا همَّة تسكن قلبه، وتيسر دربه، ويخطط على منوالها مستقبله، والهمم تتفاوت بين البشر، فشتَّان بين همة في الثرى وأخرى في الثريا! وعلو الهمة مبتغى كل إنسان ناجح يتطلع إلى حياة أفضل، بَيْدَ أن شروطها هنا يراد بها وجه الله تعالى وأن تكون عونًا على البذل والعطاء لهذا الدِّين.

وانطلاقًا من ذلك، فإن المسلم مطالَبٌ دائمًا وأبدًا بالتمسُّك بكتاب الله تعالى حقَّ التمسك، وتطبيق منهجه في حياته كلها، وبدهي أن تكون بداية التمسك والتطبيق بالتعليم والتعلم.

ولكن الملاحظ – وبخاصة في عصرنا الحاضر – انصراف كثير من المسلمين عن تعليم القرآن وتعلُّمه، وإن أظهروا حبَّهم وتقديسهم له، إلا أن واقعهم المعيشي يغاير ذلك، ومن هنا يبدو الخلل واضحًا في حياة المسلمين أفرادًا ومجتمعات، الأمر الذي جعلهم غثاءً كغثاء السيل، وجعل الأمم تتداعى عليهم، وجعل الوهن يتمكَّن من قلوبهم، ونزعت مهابتهم من قلوب عدوهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وما من شك في أن أول آيات القرآن نزولاً، كانت دعوة صريحة للقراءة والعلم والتعلم، وما يستتبع ذلك من تطبيق لما نتعلمه ونتوصل إليه، وآثار ذلك على الفرد والمجتمع.

إشكالية البحث

يحاول البحث الإجابة عن الإشكالية الآتية:

ما الآثار الإيمانية التي تعود على الفرد المسلم والمجتمع المسلم من تعليم وتعلم القرآن الكريم؟

منهج البحث وخطواته

استخدم الباحث منهج البحث الوصفي، وكذا منهج البحث التحليلي التأملي؛ لمحاولة الخروج بفوائد علمية مهمة دقيقة.

كما اتَّبع الباحث الخطوات البحثية المختصرة التالية:

1. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف الشريف.
2. تخريج الأحاديث من مظانها الحديثية، وإيراد حكم العلماء عليها، إن وجد.
3. توثيق الأقوال والآثار بإرجاعها إلى مصادرها الأصلية.

المبحث الأول

التعريف بالقرآن الكريم ومفهوم تعليمه وتعلمه

المطلب الأول: القرآن لغةً واصطلاحًا

أولًا: القرآن في اللغة:

اختلف أهل اللغة في أصل كلمة (قرآن)، ويمكن اختصار وحصر أقوالهم في اتجاهين يوردهما السيوطي في قوله:

وأما القرآن، فاختُلف فيه؛ فقال جماعة: هو اسم علم غير مشتق، خاص بكلام الله، فهو غير مهموز، وبه قرأ ابن كثير، وهو مروي عن الشافعي، أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه أنه كان يهمز قرأت، ولا يهمز القرآن، ويقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت؛ ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل، وهذا هو الاتجاه الأول.

وقال السيوطي: أن القرآن مصدر لقرأت، كالرجحان والغفران، سمي به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدر، وبه قال اللحياني وآخرون.[1]

[1] السيوطي، أبو بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: خليل محمد العربي، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، 1415هـ، 141/1.

ثانيًا: القرآن في اصطلاح العلماء:

معلوم أن القرآن كلام الله، وأن كلام الله غير كلام البشر، ما في ذلك ريب، والقرآن يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، بحيث يكون تعريفه حدًّا حقيقيًّا، ويذكر العلماء له تعريفًا يقرِّب معناه، ويميِّزه عن غيره.

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز – رحمه الله –: أما ما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس والفصول كما تُعرف الحقائق الكلية، فإنما أرادوا به تقريب معناه، وتمييزه عن بعض ما عداه، مما قد يشاركه في الاسم ولو توهمًا؛ ذلك أن سائر كتب الله تعالى والأحاديث القدسية، وبعض الأحاديث النبوية، تشارك القرآن في كونها وحيًا إلهيًّا، فربما ظن ظانٌّ أنها تشاركه في اسم القرآن أيضًا، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به، ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع.[1]

المطلب الثاني: أسماء القرآن وأوصافه

للقرآن أسماء كثيرة، وهذا إن دلَّ، فإنما يدل على عظمة القرآن، فكما هو معلوم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمَّى، ولا ريب أن القرآن الكريم هو أعظم وأشرف كتاب.

[1] دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، 1390هـ، 92/2.

ومن أسماء القرآن" الفرقان"؛ باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل، أو مفروق بعضه عن بعض في النزول، أو في السور والآيات؛ قال تعالى :﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: 1)

ثم إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء النظم الكريم؛ بل جعلهما بعض المفسرين مرجع جميع أسمائه، ويلي هذين الاسمين في الشهرة هذه الأسماءُ الثلاثة: الكتاب، والذِّكر، والتنزيل.[1]

وقد وردت هذه الأسماء في القرآن نفسه؛ قال تعالى :﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: 9)، وقال تعالى :﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء: 10)

وقال تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: 9)، وقال أيضًا : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ (الشعراء: 192).

أما عن أوصافه، فقد وصفه الله بأوصاف كثيرة أيضًا وردت في آياته، منها قوله تعالى :﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

[1] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ، 45/1.

وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: 97) وقوله :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ (النساء: 174).

المطلب الثاني: مفهوم الآثار الإيمانية

الآثار: جمع أثر، والأثر جاء عنه في كتب أهل اللغة:

أثر الشيء: بقيته، والجمع آثار وأثور، وتأثرته: تتبعت أثره، والأثَر بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثَّر في الشيء: ترك فيه أثرًا.

والأثر: الخبر، والجمع آثار، وقوله عز وجل :﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ (يس: 12)؛ أي: نكتب ما أسلفوا من أعمالهم، ونكتب آثارهم؛ أي: مَن سنَّ سنة حسنة، كتب له ثوابها، ومن سن سنة سيئة، كتب عليه عقابها، وسنن النبي: آثاره.

وأُثْر الجرح: أثَرُه يبقى بعدما يبرأ، والإِثْر: خلاصة السمن إذا سُلِئَ، وهو الخِلاص[1].

وأثر الحديث: ذكره عن غيره، والأثر (بفتحتين): ما بقي من رسم الشيء[2].

الأثر: حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة.[1]

---

[1] محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 49/1.

[2] الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1415هـ، 139/1.

الأثر له ثلاثة معانٍ: الأول: بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من شيء، والثاني: بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى الجزء.[2]

إذًا؛ فالأثر المقصود هنا هو: الخبر والنتيجة الحاصلة من تعليم وتعلم القرآن الكريم.

والإيمان بالله عز وجل معناه: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه هو الذي يستحق وحده أن يُفرَد بالعبادة، وأنه المتَّصف بصفات الكمال كلها، المنزَّه عن كل نقص.

فالإيمان بالله تعالى يتضمن: توحيده في ربوبيته، وتوحيده في ألوهيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته.

ومعنى توحيد الربوبية – إجمالاً –: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء، ولا رب غيره.

وتوحيد الألوهية معناه: الاعتقاد الجازم بأن الله – سبحانه – هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده سبحانه بالعبادة. [3]

---

[1] المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1410هـ، 43/1.

[2] الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ، 452/3.

[3] الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مرجع سابق، 54/1.

أما توحيد الأسماء والصفات، فمعناه: الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متَّصف بجميع صفات الكمال، ومنزَّه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة، من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها، أو نفي بعضها عن الله – عز وجل – ولا بالتأويل الباطل، ولا تكييفها بتحديد كنهها وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين.

وعند أهل السنة: يقع اسم الإيمان على الإقرار باللسان، والتصديق بالقلب، والعمل بالجوارح.[1]

[1] ياسين، محمد نعيم، الإيمان حقيقته أركانه ونواقضه، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1382هـ، 142/1.

المبحث الثاني

اهتمام القرآن بطلبة العلم

المطلب الأول: أهمية العلم والعلماء من وجهة نظر القرآن

اهتم ديننا الحنيف بالعلم أعظم اهتمام، يقول الله عز وجل في أول ما نزل) :اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم (ففي هذه الآيات المحكمات أمر للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل فرد من أمته أن يقرأ ويتعلم أي علم يكون له ولغيره نفع في دينه ودنياه.

وقد رافق هذا الأمر بيان سماوي آخر عن مكانة العلماء، ومآثرهم في مواضيع عديدة من القرآن الكريم ومنها قوله سبحانه في سورة آل عمران) :شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم (وقوله عز وجل) :قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (وقوله عزّ من قائل) :يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .(ففي الآيات إشارة واضحة بأنّ الذين يشهدون بالوحدانية

المطلقة هو الله عز وجل وملائكته وأولو العلم وفيها دلالة بأنَّ العلماء يتميّزون بعلومهم ومعارفهم ،وبإدراكهم عن الذين لا يعلمون.[1]

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "إنّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر يصلون على معلم الناس الخير"، ويقول: "من يرد الله به خيراً يفقّه في الدين".[2]

ويقول صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنّة".

وهذه الفضيلة لا تختص بطلب العلم الشرعي – لمكانة هذا العلم وكونه أول العلوم التي يجب أن يعرفها المسلم لمناطه بأمر دينه– فحسب، بل إنَّ هذه الفضيلة تمتدُّ إلى كل علم يكون للمسلم ولغيره فيه نفع في معيشته وحياته اليومية ما لم يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، إنَّ العلوم الدنيوية ضرورة لتنمية معاش المسلمين وعمار الأرض لا يكون إلاَّ عن علمٍ راسخ بمعرفة علوم الصناعة والزراعة وعلم راسخ في الاقتصاد والتجارة وطرق تنميتها واستثمار الوسائل العصرية الحديثة في خدمة الإسلام والدفاع عن حياض

---

[1] : محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، دار الصميعي، السعودية، د.ت، ص: 203

[2]: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، حديث رقم (36).

الأمة، فالأمم التي تقدمت في ميادين العلم المختلفة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بعد نجاحها في إدارة مؤسساتها وانضباط سلوك العاملين فيها. والشعوب التي فشلت في ميادين التنمية ما كانت لتصل إلى هذا الفشل إلا بعد فشلها في إدارة دوائرها ومؤسساتها التنموية وعدم استثمار الوسائل بطريقة مثلى.[1]

إن حاجة الشعوب المسلمة إلى العلم الشرعي تمتد بالضرورة إلى حاجتها لعلوم ومعارف أخرى كعلم الحاسب، والطب، وعلم صناعة الأسلحة وغيرها، بل يجب أن تكون هذه العلوم محل عناية المسلم واهتمامه في عصرنا الحاضر لأنها لم تعد مجرد حاجة بل أصبحت ضرورة قصوى في وقت تخلَّف فيها المسلمون عن غيرهم من الأمم.

أضف إلى ذلك كل علم نافع تحتاج له الأمة الإسلامية في حاضرها ومستقبلها للدفاع عن عقيدتها وشريعتها.[2]

ونحن نعلم علم اليقين أنَّ سلف هذه الأمة قد اهتم بالعلوم الشرعية وما يتفرع عنها و في الوقت نفسه اعتنوا بعلوم ومعارف أخرى كعلم الطب و الجراحة و علم الرياضيات

---

[1]: عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية، دار العصيمي للنشر والتوزيع، د.ت، ط2، ص1

[2] : محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، 1421هـ، ط6، 57/1

وعلوم الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من العلوم التي كانت لها دور كبير في بلوغ الحضارة الإسلامية مرحلة ازدهارها. [1]

إنَّ المسلم يجب أن يعرف أنَّ كل ما يتعلّمه من العلوم والمعارف والفنون ولا يتعارض مع الشريعة الإسلامية وقواعدها يعتبر مأموراً به ومشجعاً عليه و له أجر عند الله تعالى فمن يتعلَّم صناعة الأسلحة لتدافع بها الشعوب المسلمة عن دينها وأوطانها أفضل ممن لا يعرفها، والذي يتعلم علم الطب ويعالج مرضى المسلمين أرفع درجة ممن لا يقدم شيئاً للأمة، ومن لديه خبرة ومعرفة بتقنية العصر (الكمبيوتر والإنترنت) ويجيد فن استخدامها والاستفادة منها في الذب عن الإسلام، ويساهم في إيصال كلمة الحق إلى الآفاق في عصر العولمة خير من غيره وهكذا، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنّ هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر. وويل لعبدٍ جعله الله مفتاحاً للشر، مغلاقاً للخير".[2]

---

[1] ينظر للتوسع كتاب: الإسلام أصوله ومبادئه 132/2

[2] : أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار، حديث رقم (4939).

المطلب الثاني: الآثار الإيمانية للقرآن على طالب العلم المسلم

القرآن الكريم فيه تقويم للسُلوك، وتنظيم للحياة، من استمسك به، فقد استمسك بالعروة الوُثقى لا انفصامَ لها، ومن أعرضَ عنه وطلب الهُدى في غيره، فقد ضَلَّ ضلالاً بعيدًا، فالاشتغالُ بالقرآن من أفضل العبادات، ومن أعظم القُربات، ولِمَ لا، وفي كل حرف منه عشر حسنات، وسواء أكان بتلاوته أم بتدبر معانيه؟!

وقد أَوْدَع اللهُ فيه علمَ كلِّ شيء، ففيه الأحكامُ والشَّرائع، والأمثال والحِكَم، والمواعظ والتأريخ، والقصص، ونظام الأفلاك، فما ترك شيئًا من الأمور إلاَّ وبيَّنه، وما أغفلَ من نظام في الحياة إلا وضَّحه؛ رُوي عن رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُم، هو الفصل ليس بالهَزْلِ، هُوَ الَّذِي من تَرَكَهُ من جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الهُدى في غَيْرِه أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَة، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَن كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجائبه، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا :﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (الجن: 1)، هُوَ الَّذِي مَنْ قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِرَ، ومن دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ".[1]

[1] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم 52، 135/1.

وفي القُرآن الكريم بيانٌ لأحوالِ يوم القيامة، وما بَعْدَ الموت من البعث، والحشر، والعَرْض، والحساب، والنعيم، والعذاب، وجمع الناس لذلك اليوم العظيم؛ ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء: 87)

وفي القُرآن الكريم دَعوة إلى النظر والتَّفكر في الآيات الكونيَّة والآيات القرآنية؛ ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: 101) وقال سبحانه :﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد: 24) وما دام القرآنُ الكريم حبلَ الله المتين، ودستورَ أُمَّة الإسلام، فلا بُدَّ أنَّ هناك آثارًا تعود على مَن يشتغل به تعليمًا وتعلُّمًا، وهذه الآثار أعظمُ من أنْ تَحويَها صفحاتٌ قلائل كهذه.

ومن الآثار التي تعود على طالب العلم المسلم ما يأتي:

أولًا: استقامة العبد

أول وأهم آثار تعليم وتعلُّم القرآن الكريم: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطَّاعة، والخلوص له من الشِّرك.

كذلك من الآثارِ الإحسان بمراقبة الله تعالى وحْدَه، فمرتبة المراقبة تدفعُ صاحبها إلى عمل كلِّ خير، والابتعاد عن كل شر؛ أملاً في وعد الله تعالى وخوفًا منه ومِنْ وعيده – عزَّ وجل، سبحانه وبحمده.

إذًا؛ فأهم الآثار وأوَّلها: الإيمان بالله والتصديق بوعده ووعيده، والعمل بهذا الكتاب والدعوة إليه، والصَّبر على الأذى في ذلك، ولا شكَّ أن أثر ذلك هو سعادة الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّ المشتغل بالقرآن الكريم هو مَنِ اتَّقى الله تعالى ولا يسعد في الدُّنيا والآخرة إلا من اتقى الله تعالى قال الله عَزَّ وجل :﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق: 2 – 3)

قال الطبري: وكما كُنَّا نوحي في سائر رسلنا، كذلك أوحينا إليك – يا محمد – هذا القرآن روحًا من أمرنا، يقول: وحيًا ورحمةً من أمرنا، واختلفَ أهلُ التأويلِ في معنى الرُّوح في هذا الموضع، فقالَ بعضهم: عَنِي به الرحمة، وقال آخرون: معناه وحيًا من أمرنا، وقوله :﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيْمَانُ ﴾]الشورى: 52]، يقول جلَّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ما كنت تدري – يا محمد – أيّ شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعْطَيْناكهما؛ ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوْرًا ﴾]الشورى: 52]، يقول: ولكن جعلنا هذا القُرآن

وهو الكتاب نورًا؛ يعني: ضياء للناس يستضيؤون بضَوْئه، وهو بيانه الذي بيَّن فيه مِما لهم فيه: في العَمَل به الرَّشاد، ومن النار النجاة، نهدي به من نشاء من عبادنا، يقول: نهدي بهذا القرآن، فالهاء في قوله :﴿ بِهِ ﴾]الشورى: 52] مِنْ ذكر الكتاب، ويعني بقوله ﴿ نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ ﴾]الشورى: 52] نُسدد إلى سبيل الصَّواب وذلك الإيمان بالله مَن نشاء من عبادنا، يقول: نهدي به مَن نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا.[1]

ثانيًا: خشية الله تعالى

وهذا أثر إيماني مُهم؛ لأنَّه يبعث على استقامة العبد في شتى أموره، وفي كل تصرفاته؛ قال سبحانه :﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر: 23)

قال ابن كثير: هذا مدح من الله عزَّ وجلَّ لكتابه القرآن العظيم المُنَزَّل على رسوله الكريم.[2]

---

[1] الطبري، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الفكر، بيروت، 1414هـ، 142/3.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، 1401هـ، 242/3.

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي: فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، عُلِمَ أنَّ ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيَه أجلّ المعاني؛ لأنَّه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابهًا في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه، حتى إنَّه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه حتى في معانيه الغامضة ما يَبْهَرُ الناظرين، ويجزم أنَّه لا يَصْدُرُ إلاَّ من حكيم عليم.[1]

ثالثًا: القرآن هداية لأهله

والقرآن كتاب هداية، والهداية على قسمين: هداية توفيق وعمل، وهي خاصَّة بالمؤمنين، وهداية دلالة وإرشاد، وهذه عامَّة لجميع الناس، والقرآن الكريم يَشتمل على هذين القسمين من الهداية.

فمن القسم الأوَّل قول الله تعالى :﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: 2)

ومن القسم الثاني قوله تعالى :﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: 185).[2]

---

[1] السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن، دار القلم، ددمشق، 1409هـ، 142/4.

[2] الخالدي، عبد الرحمن، بشراكم يا أهل القرآن، نشر القسم العلمي بدار الوطن، الكريت، 1402هـ، 46/1.

وأي هداية تساوي هذه الهداية؟! إنَّها الهداية للتي هي أقوم، والبشارة للمؤمنين، المتبعين لهدي القرآن، المستمسكين به، وفي ذلك يقول الله تعالى :﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الإسراء: 9 – 10)

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: إنَّ هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد ويُسدد مَن اهتدى به، ﴿ للتي هي أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء، 9) يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السُّبل، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه وهو الإسلام، يقول جلَّ ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عبادَ الله المهتدين به إلى قَصْد السَّبيل التي ضل عنها سائرُ أهل الملل المكذبين به".[1]

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره لهذه الآية: "يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته، وأنَّه ﴿ يهْدِي للتي هي أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء، 9) أي: أعدل وأعلى، من العقائد، والأعمال، والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن، كان أكمل الناس، وأقومهم، وأهداهم في جميع الأمور؛ ﴿ ويُبَشِّرُ المُؤْمِنِيْنَ الذِيْنَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ﴾ (الإسراء، 9) من

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، 145/3.

الواجبات والسنن، ﴿ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء، 9) أعدَّه الله لهم في دار كرامته، لا يعلم وصفه إلا هو – سبحانه وتعالى".[1]

قال تعالى :﴿ ...الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النور وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ (الطلاق: 10 – 11)

قال الطبري: "وقوله ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولاً ﴾ (الطلاق: 10 – 11) اختلف أهلُ التأويل في المَعْنِي بالذِّكر والرسول في هذا الموضع، فقال بعضُهم: الذكر هو القرآنُ والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون: الذِّكر هو الرسول – ثُمَّ يقول –: والصواب من القول في ذلك أنَّ الرسولَ ترجمة عن الذكر، وذلك نصب لأنَّه مردود عليه على البيان عنه والترجمة، فتأويل الكلام إذًا: قد أنزل الله إليكم يا أولي الألباب ذكرًا من الله لكم، يذكركم به ويُنبهكم على حظكم من الإيمان بالله والعمل بطاعته، رسولاً يتلو عليكم آيات الله التي أنزلها عليه، ﴿ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ (الطلاق: 11) يقول: مبينات لمن سمعها وتدبرها أنَّها من عند الله، يقول تعالى ذكره: قد أنزل الله إليكم أيها الناس ذكرًا رسولاً يتلو عليكم

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، 1415هـ، 531/3.

آيات الله مبينات؛ كي يخرج الذين صدقوا الله ورسوله، ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (الطلاق: 11) يقول: وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه، ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النور ﴾ (الطلاق: 11) يعني: من الكفر وهي الظلمات، إلى النُّور يعني إلى الإيمان.[1]

سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها عن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "كان خُلُقُه القرآن".[2]

الخاتمة

القرآن يُعوِّد صاحبه الورع في مطعمه ومشربه ومكسبه، ويجعله بصيرًا بزمانه وفساد أهله، فهو يَحُثُّهم على دينه، ويجعل المسلم مُقبلاً على شأنه، مهمومًا بإصلاح ما فسد من أمره، حافظًا للسانه، مميِّزًا لكلامه، إن تكلَّم تكلَّم بالحقِّ والخير، وإن أنصت كان إنصاتُه ابتغاءَ رضوان الله، قليلَ الخوض فيما لا يعنيه، لا يَحْسُد ولا يَغِشُّ، يحفظ – تقديرًا للقرآن –

---

[1] الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، 152/28.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، باب حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، برقم 24080، 521/4.

جوارحَه، يتواضع في نفسه، يقبلُ الحقَّ من الصغير والكبير، يطلب الرفعة من الله تعالى لا من المخلوقين.

يُلزمه القرآن بِرَّ والديه، فيخفضُ لهما جَنَاح الذُّل من الرحمة، ويخفض لصوتهما صوته، ويبذل لهما ماله، ويشكر ويدعو لهما عند الكِبَر.

وبالقرآن يصل رَحِمَه وينفع مَن صحِبه، ويحسن مجالسة من يجالسهم، ويرفق بمن يُعلِّمه، لا يعنِّف من أخطأ ولا يُخجِله، وهو رفيقٌ في أموره، صبورٌ على تعلم الخير وتعليمه.

وتعلم القرآن يساعد المسلم على التوصُّل إلى الأساليب المُثلى في الدَّعوة إلى دين الله، بلغة مناسبة لعصر المعرفة العلمية والوسائل التقنية.

وبتعلم القرآن الكريم تربط آياته بواقع الحياة وحاجات العصر، ودقائق العلوم، فتتوسع دائرة العلم والثَّقافة، فتتأصَّل المعارف في ذهن صاحبها عن طريق حفظه لكلام الله والعمل به، والالتفات إلى ظواهر الكون من خلال آياته، فتُفتح آفاق التوسُّع في العلم والتجربة والاختراع.

والقرآن مصدر هداية للأُمَّة بأَسْرها، والعلم والعمل به يزيدها إيمانًا وتصديقًا، وفي تعليمه وتعلمه تقويم الأُمَّة، وزيادة العطاء لها من الله، وجَلْب الطمأنينة والرحمة والرَّخاء والثَّبات والنصر لها على الأعداء، وفي الاشتغال به شرف للأُمَّة بأسرها ورحمة لها، إلى غير ذلك مما يكون سببًا في عزها في الدُّنيا ونجاتها في الآخرة.

المصادر والمراجع

1. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، 1401هـ.
2. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.
3. الخالدي، عبد الرحمن، بشراكم يا أهل القرآن، نشر القسم العلمي بدار الوطن، الكويت، 1402هـ.
4. دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، 1390هـ.
5. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1415هـ.
6. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ.

7. السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن، دار القلم، ددمشق، 1409هـ.

8. السيوطي، أبو بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: خليل محمد العربي، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، 1415هـ.

9. الطبري، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الفكر، بيروت، 1414هـ.

10. عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية، دار العصيمي للنشر والتوزيع، د.ت

11. محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، 1421هـ.

12. محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، دار الصميعي، السعودية، د.ت

13. محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

14. المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1410هـ.

15. ياسين، محمد نعيم، الإيمان حقيقته أركانه ونواقضه، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1382هـ.